الحنين إلى الأوطان

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

صحح أصلها وعلّق حواشيها
العلّامة المحقق
الشيخ طاهر الجزائري
رحمه الله

القاهرة
١٣٥١

المطبعة السلفية - ومكتبتها
لصاحبيهما محب الدين الخطيب

الحنين الى الأوطان

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

صحح أصلها وعلّق حواشيها

العلاّمة المحقق

الشيخ طاهر الجزائري

رحمه الله

القاهرة

١٣٥١

المطبعة السلفية ومكتبتها

لصاحبيهما محب الدين الخطيب

قال الوزير ابو الفضل بن العميد :
كتبُ الجاحظ تُعَلِّم العقل أَوَّلاً ، والادب ثانياً

« الطبعة الثانية »

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ لكل شيء من العلم ونوعٍ من الحكمة وصنفٍ من الأدب — سبباً يدعو الى تأليف ما كان فيه مشتتاً ، ومعنًى يحدُو على جمع ما كان متفرقا[1] ؛ ومتى أغفل حملةُ الادب وأهلُ المعرفة تمييزَ الاخبارِ واستنباطَ الآثارِ ، وضَمَّ كلِّ جوهرٍ نفيس الى شكله ، وتأليفَ كلِّ نادرٍ من الحكمة الى مثله ؛ بطلَت الحكمة ، وضاع العلم ، وأُميت الأدب ، ودَرَسَ مستورُ كل نادر . ولولا تقييدُ العلماء خواطرَهم على الدهر ، ونقرُهم آثار الأَوائل فى الصخر ؛ لبطَل أوّلُ العلم وضاع آخره ؛ ولذلك قيل : لايزال الناسُ بخير مابقىَ الاوّلُ يتعلم منه الآخر

---

(١) يحدو : حداه على الامر بعثه عليه

وإنَّ السبب على جمع نُتفٍ من أخبار العرب في حنينها الى أوطانها ، وشوقِها الى تُربها وبُلدانها ، ووصفها فى أشعارها تَوقُّدَ النار فى أكبادها ، أنَّى فاوضتُ بعضَ من انتقل من الملوك فى ذكر الديارِ ، والنزاع الى الاوطان [١] ، فسمعتهُ يذكر أنه اغترب من بلد الى آخرَ أمهدَ من وطنهِ ، وأعمرَ من مكانهِ ، وأخصبَ من جنابه ؛ ولم يزل عظيمَ الشَّأن ، جليلَ السلطان تدين له من عشائر العرب ساداتُها وفِتيانُها ، ومن شعوب العجم أنجادُهاوشجعانُها [٢] ، يقود الجيوش ويسوس الحروب ، وليس ببابه إلاَّ راغب اليه أو راهب منه ، فكان اذا ذكر التُربة والوطن حنّ اليه حنين الإبِل الى أعطانها [٣] ، وكان كما قال الشاعر :

اذا ماذكرتُ الثَّغرَ فاضت مَدامعى

وأضحى فؤادى نُهبَةً للهماهم [٤]

---

(١) النزاع الى الشيء : الاشتياق اليه

(٢) الانجاد : جمع نجد وهو الشجاع السريع الى الاجابة فيما دعى اليه

(٣) الاعطان : مَبارك الابل عند الماء ، واحدها عطن

(٤) الهماهم : الهموم

حنيناً الى أرض بها اخضرّ شاربى
وحُلّت بها عنى عقودُ التمائم (١)

وألطفُ قوم بالفتى أهلُ أرضه
وأرعاهُم للمرء حقَّ التقادم

وكما قال الآخر :

يَقَرُّ بعينى أن أرى من مكانه
ذُرا عقداتِ الابرقِ المتقاودِ (٢)

---

(١) التمائم : جمع تميمة ، وهى خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها يتقون بها العين فى زعمهم ، فأبطلها الاسلام . عن النهاية لابن الأثير

(٢) ذُرا الشيء بالضم : أعاليه الواحدة ذروة بكسر الذال وضمها وقال فى معجم البلدان : قال ابن الاعرابى الابرق جبل مخلوط برمل وهى البرقة ، وكل شيء خلط من لونين فقد برق . والمتقاود المستوى ، قال فى أساس البلاغة : تقاود المكان استوى . قال :

ألا ليت شعرى هل أرى من مكانه ذرا عقدات الابرق المتقاود

وأنْ أرِدَ الماءَ الذى شربت به
سُليمَى وقد مَلَّ السُرى كلُّ واخِدِ[1]

وألصِق أحشـــائى ببرد ترابه
وإن كان مخلوطًا بسمِّ الاساوِد[2]

فقلت : لئن قلتَ ذلك لقد قالت العجم : من علامة الرشد أن تكونَ النفسُ الى مولدها مشتاقة ، والى مسقط رأسها توَّاقة[3] وقالت الهند : حُرمة بلدك عليك كحرمة أبويك ، لأن غِذاءك منهما وأنت جنين ، وغذاءهما منه . وقال آخر : احفظ بلداً رشَّحَك غذاؤُه ، وارع حِمًى أكنَّكَ فِناؤُه . وأَوْلَى البُلدان بصبابتك اليهِ بلد رضِعْتَ ماءه ، وطعِمت غذاءه . وكان يقال : أرض الرجل ظِئْره[4] ، ودارُه مهده ، والغريب

---

(١) السرى : سير عامة الليل وفى المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » . ويقال جمل واخد وخاد وخاد اذا كان واسع الخطو ، وقد وخد يخد وخداً ووخدانا (٢) الاساود : جمع أسود وهو العظيم من الحيات

(٣) تاق اليه توقاناً : اشتاق اليه ، فهو تائق وتواق

(٤) الظئر : المرأة التى تحضن ولد غيرها

النائى عن بلده، المتنحى عن أهله ؛ كالثور النادّ عن وطنه[١]، الذى هو لكل رام قنيصه . وقال آخر : الكريم يحنّ الى جنابه، كما يحن الاسد الى غابه . وقال آخر الجالى عن مسقط رأسه ومحلّ رضاعه كالعَيْر[٢] الناشط عن بلده[٣] الذى هو لكل سبُع قنيصة، ولكل رام دريئة[٤]. وقال آخر : تربة الصِّبا تَغرِس فى القلب حرمة وحلاوة ، كما تَغرِس الولادة فى القلب رِقةً وحفاوة[٥] . وقال آخر : أحق البلدان بنزاعك اليه بلد أمصّك حلبَ رَضاعه . وقال آخر : اذا كان الطائر يحن الى أوْكاره فالانسان أحق بالحنين الى أوطانه ؛ وقالت الحكماء : الحنين من رقة القلب، ورقة القلب من الرعاية ، والرعاية من الرحمة ، والرحمة من كرم الفطرة، وكرم الفطرة من طهارة

---

(١) ندّ البعير ندّا بتشديد الدال . نفر وذهب على وجهه شارداً

(٢) العير الحمار الوحشى والاهلى أيضا

(٣) قال فى أساس البلاغة : ثور ناشط خارج من أرض الى أرض

(٤) الدريئة : حلقة يتعلم عليها الطعن

(٥) الحفاوة : المبالغة فى الاكرام

الرِّشدة (١) ، وطهارة الرشدة من كرم المحتِد (٢) . وقال آخر : ميلك الى مولدك من كرم مَحتِدِك . وقال آخر : عسرك فى دارك أعز لك من يسرك فى غربتك . وأنشد :

لَقربُ الدار فى الاقتار خير
من العيش الموسَّع فى اغتراب (٣)

وقال آخر : الغريب كالغرس الذى زايل أرضَهُ ، وفَقَدَ شِربَهَ ، فهو ذاوٍ لا يثمر (٤) ، وذابلٌ لا ينضُر . وقال بعض الفلاسفة فطرة الرجل معجونة بحب الوطن ، ولذلك قال بقراط : يُداوَى كلّ عليل بعقاقير أرضه ، فانّ الطبيعة تتَطَلَّعُ لهوائها ، وتنزع الى غِذائها . وقال افلاطون : غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها . وقال جالينوس : يَتروّحُ العليل بنسيم أرضه ، كما تتروح الارض الجدبة ببلل القطر

والقول فى حب الناس الوطنَ وافتخارِهم بالمحالِّ قد سبق ،

---

(١) الرِشدة : صحة النسب وهى بكسر الراء ، والفتح لغة
(٢) المحتد : الاصل ، يقال : هو كريم المحتد وهم كرام المحاتد
(٣) الاقتار : مصدر أقتر الرجل اذا افتقر
(٤) ذاو : ذابل

فوجدنا النـاس بأوطانهم أقنع منهم بأرزاقهم ، ولذلك قال ابنُ عباس : لو قنِع الناسُ بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبدٌ الرزق . وترى الاعرابَ تحن الى البلد الجدب والمحلّ القفر والحجرِ الصَّلدِ ، وتستوخِم الرِّيف (١) ، حتى قال بعضهم :

أتجلين فى الجالين أم تتصبَّرِى
على ضيق عيش والكريمُ صبور (٢)
فبالمِصر بُرغوث وحُمَّى وحصبةٌ
ومومٌ وطاعون وكل شُرُورِ (٣)
وبالبيد جوع لايزال كأنه
ركام بأطراف الاكام تمور (٤)

---

(١) استوخم البلد ، وهو وخِم ووخْم بالكسر والسكون أيضاً اذا كان غير موافق للسكن

(٢) الجلاء : الخروج من البلد . يقال : جلوا عن أوطانهم ، اذا خرجوا منها

(٣) الموم : هو البرسام مع الحمى

(٤) الركام . السحاب المتراكب بعضه فوق بعض . والاكمة : تل ، وقيل شرفة كالرابية : وهو ما اجتمع من الحجارة فى مكان واحد ،

وترى الحضرى يُولد بأرض وباء ومَوَتانٍ وقلةِ خِصبٍ .
فاذا وقع ببلادٍ أرَيفَ من بلاده وجناب أخصبَ من جنابه واستفاد غنًى حنّ الى وطنه ومستقرّه . ولو جمعنا أخبار العرب وأشعارَها فى هذا المعنى لطال اقتصاصُه ؛ ولكن توخّينا تدوين أحسن ماسنحَ من أخبارهم وأشعارهم . وبالله التوفيق

ومما يؤكد ماقلنا في حب الاوطان قولُ الله عز وجل حين ذكر الديار يخبر عن مواقعها من قلوب عباده فقال : ﴿ ولو أنّا كتبنا عليهم أن اُقتُلوا أنفُسَكم أو اُخرُجُوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ﴾ فسوّى بين قتل أنفُسِهم وبين الخروج من ديارهم. وقال تعالى ﴿ وما لنا ألاَّ نُقاتلَ فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾ . وقال الأُول : عمَّر الله البُلدانَ بحبّ الاوطان . وكان يقال لولا حبُّ الناس الاوطانَ لخربت البُلدان

ل عبد الحميد الكاتب وذكر الدنيا : نَفَتْنا عن الاوطان ، وقطعتنا عن الاخوان . وقالت الحكماء أكرَمُ الخيل أجزعها

وربما غلط ، والجمع ا لم ، وجمع الا كم اكام ، مثل جبل وجبال . ومار الشيء : تحرّك بسرعة

من السَّوط ، واكيس الصّبيان أبغضهم للكُتّاب ، وأكرم الصفايا أشدّها ولهاً الى أولادها ، وأكرم الإبل أشدّها حنيناً الى أوطانها ، وأكرم المهارَى أشدّها ملازمة لأمها ، وخير الناس آلَفُهُم للناس . وقال آخر من أمارات العاقل بره لاخوانه وحنينه الى أوطانه . ومداراتُه لاهل زمانه ، واعتلّ أعرابي فى أرض غربة فقيل له :ماتشتهى ؟ فقال: حِسلَ فلاة[١] وحَسوَ قِلات[٢] ، وسئل آخر فقال : مَخضاً رَوِيّاً[٣] وضبّا مشوياً . وسئل آخر فقال : ضبًّا عنيناً أعور . وقالت العرب: حِماكَ أحمَى لَك ، وأهلك أحفى بك . وقيل :الغربةُ كربة، والقِلّةُ ذِلّة . وقال :

لا ترغبوا إخوَتى فى غربة أبدا

إنَّ الغريبَ ذليلٌ حيثما كانا

---

(١) الحسل : ولد الضب حين يخرج من بيضه

حسا زيد المرق يحسوه حسواً : شرب به شيئاً بعد شىء ، وحسا الطائر الماء : تناوله بمنقاره . والقلات جمع قَلْت بالفتح وهى النقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء

(٣) المخض والمخيض : ما مخض من اللبن وأخذ زبده

وقال آخر لاتنهض عن وَكْرِكَ فَتُنَغِّصكَ الغُربة ، وتَضيمكَ الوَحدة . وقال آخر : لا تجفُ أرضاً بها قوابلك [١] ولا تَشكُ بلداً فيه قبائلك . وقال أصحاب القيافة [٢] في الاستر واح : إذا أحسَّت النفس بمولدها تفتحت مسامهافعرَفَت النسيم . وقال آخر : يحن اللبيب الى وطنه ، كما يحن النجيب [٣] الى عطنه . وقال : كما أن لحاضِنَتِك حقَّ لبنها ، كذلك لأرضك حقٌّ وطنها . وذكر إعرابيٌّ بلده فقال : رَملة كنتُ جنينَ رُكامها ورضيعَ غمامها ، فحضنَتنى أحشاؤها وأرضعتنى أحساؤها [٤] وشبَّهت الحكماءُ الغريبَ باليتيم اللَّطيم [٥] الذى ثَكِل [٦] أبوَيْه —

(١) القوابل : جمع قابلة وهي المرأة التى تأخذ الولدعند الولادة

(٢) القائف : الذى يتتبع الآثار و يعرفها و يعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه ، والجمع القافة و يسمى فعله بالقيافة

(٣) النجيب : من الابل القوى الخفيف السريع

(٤) الاحساء : جمع حسى ، وهى سهل من الارض يستنقع فيه الماء

(٥) اللطيم : الذى يموت أبواه

(٦) الثكل فقدان المرأة ولدها

فلا أم تَرأمُه [١] ولا أبَ يحدَب عليه [٢] ، وقالت أعرابية : اذا كنت فى غير أهلك فلا تنس نصيبك من الذل . وقال الشاعر :

لَعمرِى لَرهطُ المرء خيرُ بقيَّة
عليهِ وإن عالَوْا به كل مَركب
اذا كنت فى قوم عِداً لستَ منهم
فَكُلْ ماعُلِفتَ من خبيث وطيب [٣]

---

(١) رئمت الناقة الولد : عطفت عليه

(٢) يحدب عليه : يعطف عليه

(٣) قال ابن السكيت : قوم عدا غرباء وأنشد البيت قال : ولم يأت فعل فى الصفات غير هـذا وهو أيضاً مذهب سيبويه وهم اسم للجمع . وقال ابن السيد فى الاقتضاب : هذا البيت لزرافة بن سبيع الاسدى فيما ذكر يعقوب . وذكر الجاحظ أنه لخالد بن نضلة الجحوانى من بنى أسد . والعدى الغرباء ، والعدى أيضاً الاعداء . والاكل والعلف ههنا مثلان مضروبان للموافقة وترك المخالفة . وكان هذا الشاعر قد راغم قومه وعتب عليهم ثم جاور غيرهم ، وندم على مفارقة قومه . ولذلك قال قبل هذا البيت :

لعمرى لقوم المرء خير بقية
عليه وان عالوا به كل مركب

وفى المثل أوضح من مرآة الغريبة — وذلك أن المرأة اذ كانت هَدِياً فى غير أهلها تَتَفَقَّدُ من وجهها وهيئتها مالا تتفقده وهى فى قومها وأقاربها — فتكون مرآتها مَجْلُوَّةً تتعهَّدُ بها أمر نفسها . وقال ذو الرمة :

لها أُذُنٌ حَشْرٌ وذِفْرَى أسيلةٌ
وَخدٌّ كمرآةِ الغريبة أسجح[1]

وكانت العرب اذا غزت وسافرت حملت معها من تربة بلادها رملا وعفَرَاً[2] تستنشقه عند نزلة أو زُكام أو صداع

من الجانب الاقصى وان كان ذا غنى — جزيل ولم يخبرك مثل مجرب
تبدلتُ من دودان نصرا وأرضها — فماظفرت كفى ولا طاب مشربى
ثم أفاض فى شرح البيت

(١) الحشر : ما لطف من الآذان . والذفرى من الحيوان : العظم الشاخص خلف الاذن . والاسيل من الخدود : الطويل المسترسل . وسجح الخد كفرح : سهل ولان و طال فى اعتدال وقل لحمه . وقال فى أساس البلاغة : وجه أسجح مستوى الصورة ، ورجل أسجح الخدين وقد سجح ، قال ذو الرمة (وأنشد البيت)

(٢) العفَر : بفتحتين التراب

وأنشد لبعض بنى ضبة :

نسير على علم بِكُنْهِ مَسيرنا
بعُفّةِ زاد فى بطون المزاود[١]
ولا بد فى أسفارنا من قبيصة
من الترب نُسْقَاها لحبّ الموالد[٢]

وقال آخر : أرض الرجل أوضح نسبه ، وأهله أحضر نشبه[٣]. وقيل لاعرابى : كيف تصنع فى البادية اذا اشتدّ القيظ وانتعل كل شىء ظِله[٤] ؟ قال وهل العيش إلا ذاك ، يمشى أحدنا

---

(١) المزاود : جمع مزود وهو ما يجعل فيه الزاد . العفة : هى بقية اللبن فى الضرع ، بعد أن يحلب أكثر ما فيه وكذلك العفافة ثم استعيرت للقليل من الزاد

(٢) القبيصة : التراب المجموع وما تناولته بأطراف أصابعك . قال ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة : كانت الاعراب اذا سافرت حملت معها من تربة أرضها ما تستنشق ريحه وتطرحه فى الماء اذا شربته وكذلك كانت فلاسفة اليونان تفعل (وأنشد البيتين المذكورين)

(٣) النشب بفتحتين : المال والعقار

(٤) يقولون جاء فلان حين انتعل كل شىء ظله أى حين دخل وقت الزوال

ميلاً فيَرفَضُّ عَرَقاً ، ثم يَنصبُ عصاه ، ويُلقي عليها كِساءه ، ويجلس في فيئِه يكتال الريحَ فكأنه في إيوان كِسرى .

وقيل لأعرابي ما أصبركم على البدوِ ؟ قال : كيف لا يصبر من وِطاؤُه الأرض ، وغِطاؤُه السماء ، وطعامُه الشمس ، وشرابُه الرّيح ؛ والله لقدْ خرَجنا في أثرِ قوم قد تقدَّمونا بمراحل ونحن حفاة ، والشمس في قُلّةِ السماء ، حيث انتعل كل شيء ظلّه ، وانهم لأسوأُ حالا منّا ، إن مِهادَهم لَلعَفَر ، وإنَّ وِسادَهم لَلحجر ، وإن شعارَهم للهواء ، وانَّ دثارهم لَلْخواء(١)

وحدثني التَّوَّزيُّ عن رجل من عُرَيْنَة ، قال : حدثني رجل من بني هاشم ، قال : قلت لأعرابي من بني أسد : من أين أقبلتَ ؟ قال : من هذه البادية . قلت : وأين تسكن منها ؟ قال : مَساقِط الحِمى حِمَى ضَرِيَّة (٢) بأرض لَعمرُو الله ما نريد بها بدلا ، ولا نبغي عنها حِوَلا ؛ قد نفحتها الغدوات ، وحفتها

---

(١) الشعار : الثوب الذي يلي الجسد لانه يلي شعره . والدثار : ثوب الذي فوق الشعار . والخواء بالمد : الهواء بين الشيئين . والخوى بالقصر : خلو الجوف من الطعام ، ويمدُّ

(٢) ضرية بئر بأرض نجد ، وقد ألم في معجم البلدان بهذه القصة

الفلوات ، فلا يَملَوْلِح ماؤُها ، ولا يحمَى تُرابها ، ولا يَمْعَرُ جنابها [١] . ليس فيها أَذَى ، ولا قَذَى ، ولا أَنين ، ولا حُمَّى ؛ فنحن بأرفه عيش وأَرفغ نعمة [٢] ، قلت فما طعامُكم فيها ؟ قال : بخ بخ ، عيشنا والله عيش يُعَلَّلُ جاذبُه ، وطعامُنا أطيبُ طَعام وأهنأه : الهبيدُ [٣] والضباب [٤] واليرابيعُ [٥] والقَنَافِذ والحيَّات ، وربما والله أكلنا القَدّ [٦] واشتوينا الجِلْد، فلا نعلم أحداً أخصبَ منَّا عَيْشاً ، فالحمد لله على مابسط من السَّعة ورزق من الدَّعَة . أو ماسمعت قول قائلنا وكان والله عالما بلذيذ العيش :

إذا ما أصبنا كل يوم مُذَيقَةً
وخمسَ تُميْراتٍ صغارٍ كوانزِ

---

(١) معرت الارض معراً : قل نباتها والجناب ماقرب من محلة القوم
(٢) أي أوسعها (٣) الهبيد ، الحنظل أو حبه. وهبده : كسره وطبخه
(٤) الضباب جمع ضب ، وهو حيوان معروف
(٥) اليرابيع جمع يربوع وهو حيوان يسكن بطن الارض و يتخذ فيه كوى ، فاذا طلب من أحدها خرج من غيره
(٦) القد بوزن فَلس : جلد السخلة ، وكانوا يأكلونه فى الجدب
(٧) المذيقة تصغير مذقة وهى الطائفة من المذيق وهو اللبن الممزوج بالماء . والكوانز : المكتنزة وهى المجتمعة الصلبة

فنحن ملوكُ الأرض خِصباً ونَعمةً
ونحن أسود الغاب عند الهزاهزِ [1]
وكم متمنٍّ عيشنَا لا ينالُهُ
ولو نالَهُ أضحى به حقٌّ فائزِ

ولهذا خَبَرٌ طويلٌ وصف فيه نُوقاً أضلّها ، واقتصرنا منه على ماوصف من قناعته بوطنه . قال الهاشمى فلما فرغ من نعت نوقه قلت له : هل لك فى الغداء ؟ قال إنى والله غاو اغباب [2] لاصقُ القلب بالحجاب ، مالى عهد بمضاغ ، إلاّ شِلوَ يَرْبُوعٍ [3] وَجَدَ معمعةً فانسلَتَ منّى فأخذتُ بنافقائِه وقاصِعائه ودامَّائه

(١) الهزاهز : الشدائد ولم يسمع لها بواحد . وهنا فائدة مهمة وهى أن «ما» بعد اذا تكون زائدة فاذا قيل اذا ما غضبتَ فلا تخرج عن الحد أى اذا غضبت ، فمعنى قوله اذا ما أصبنا أى اذا أصبنا . وقد استعمل الناس فى الاعصر المتأخرة «ما» بعد اذا للنفى فصاروا اذا رأوها فى كلام العرب يظنونها للنفى وهو خطأ فاذا أريد النفى بعد إذا وجب أن يؤتى بلم تقول اذا لم يجىء زيد فارسل له خبراً ، ولا تقول اذا ماجاء زيد . فينبغى الانتباه الى ذلك

(٢) كذا فى الاصل

(٣) الشلو العضو من أعضاء اللحم

وراهِطائِه (١) ثم تَنفَّضتُهُ فاخرجتهُ ؛ ولاوالله مافرحت بشيء فرحي به . فتلقانى رُوَيعٍ ببطن الخرجاء (٢) يوقد نُويْرةً تَخبُو طوراً وتَشُبُّ أخرى ، فدسَستُه فى إرَته (٣) فخمدت نويرته ؛ ولا والله مابلغ نضجه حتى اختلس الرُّوَيْعِي منه ، فغلبنى على رأسه وحوشه وصدره وبدنه ، وبقى بيدى رجلاه ووركاه وفقرتا صلبه فكان ذلك مما أنعم الله به على ، فاغتبقتها على نَكَظٍ منُكِظ وبوض بايظ عن عراكه إياى (٤) غير أن الله أعانني عليه ؛ فذلك والله عهدى بالطّعام ، وانى لذو حاجة الى غذاء أنوّه به فؤادى ، وأشُدُّ به آدى (٥) ؛ فقد والله بلغ منى المجهود ، وأدرك منى المجلود (٦) » يصف هذا البؤس والجهد ، ويتحمل هذه الفاقة

---

(١) قد فسر المصنف هذه الاربعة فى كتاب الحيوان فقال : هى أبواب قد اتخذها اليربوع لحفيرته ، فمتى أحس بشيء خالف تلك الجهة الى الباب

(٢) رُوَيعٍ : مصغَّر راعٍ . الخرجاء : ماءة احتفرها جعفر بن سليمان قريبا من الشجى ، بين البصرة وحفر أبى موسى ، في طريق الحاج من البصرة

(٣) الارة : موضع النار

(٤) كذا فى الاصل

(٥) الآد : الصلب والقوة (٦) المجلود : القوة والصبر

ويصبر على الفقر ؛ قناعةً بوطنه ، وحباً لعطنه ، واعتداداً بما وصف من رفاغة عيشه[١]

وحدثنا سليمانُ بن مَعْبَد أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يُرسِل خيلَه ، فجاء أعرابى له بفرس أنثى ، فسأله أنْ يُدخلَها مع خيله ؛ فقال الوليد لقهرمانه[٢] أُسَيْلَم بن الاحنف : كيف تراها يا أُسَيْلَم ؟ فقال : ياأمير المؤمنين حجازيَّة ، لو ضَمها مضمارُك ذهبت . قال الاعرابى : أنت والله منقوص الاسم[٣]

---

(١) رفاغة العيش : اتساعه . وتقدمَ هذا الحرف آنفاً

(٢) القهرمان : أمين الدخل والخرج . وهو معرَّب

(٣) يريد أن اسمه مصغر والتصغير فى الغالب يدل على النقص . وهنا أمر وهو ان كل اسم فى أوله همزة وصل اذا دخلت عليه أل نقلت حركتها الى اللام ثم حذفت ثم لحقها فى الحذف همزة أل لان همزة الوصل اذا تحرك مابعدها سقطت للاستغناء عنها فتبقى تلك الكلمة مجردة عن تينك الهمزتين نحو الاسم والابن والانقباض والاجتماع ونحو ذلك . وقد وقع هنا وهم لكثير ممن لم يمعن النظر فى الصرف فتراه ينطق بالهمزتين معاً فى مثل : الاقتصاد مطلوب . وبالهمزة الثانية فى مثل : يطلب الاقتصاد . وهو خطأ بين . وقد وقع هذا النوع فى الكتاب العزيز فى قوله تعالى « بئس الاسم الفسوق بعد الايمان » فالاسم هنا كما لايخفى مجرد

أَعوجُ اسْمِ الابِ . فأمر الوليد بإِدخال فرسه . فلما أُجرِيَت الخيلُ سبق الأعرابى على فرسه ، فقال الوليد : أواهبُها لى أنت يا أعرابى ؟ فقال : لا والله ، انها لقديمة الصُّحبة ، ولها حق ، ولكن أَحْمِلك على مُهرٍ لها سبق عاماً أوَّل وهو رابض . فضحك الوليد وقال : أَعرابى مجنون ! فقال : وما يضحككم ؟ سَبَقَت

عن الهمزتين . وقد وقع مثل ذلك فى الشعر ، قال كُشاجم :

عش سالماً لاختراع مجد فانه نعم الاختراع

فانظر كيف حذف الهمزتين من الاختراع وقد وقع فى هذه القصيدة كثير من هذا النوع ، غير انه خالف فى قوله من قصيدة أخرى :

تأخرت حتى كددْتُ الرسول وحتى سئمت من الانتظار

فقد حذف الهمزتين فى الانتظار وحذف الالف من لا ، فينبغى الانتباه لمثل ذلك . وقد وقع فى همزة الوصل خطأ من وجه آخر وهو أن بعضهم يضعون عليها علامة همزة القطع وهو خطأ ولو وقعت فى الابتداء لأنه يكفى اذا أريد تحريكها أن يوضع عليها حركتها نحو اُغزى يا هند وأنا اغزى القوم . وأما همزة البتة في مثل قولهم لاأفعله البتة فهى بلا ريب همزة وصل وقد أغرب بعضهم فقال انها همزة قطع على خلاف القياس قال الحافظ ابن حجر ولم أر ماقاله فى كلام أحد من أهل اللغة وقد ناقشه فى ذلك بعض من مرن على المناقشة غير أنه لم يأت بشىء يعول عليه أو يركن اليه

أُمُّه عاماً أوَّل وهو فى بطنها . فاستظرفه واحتبسه عنده ، فمرض ، فبعث اليه الوليد بالاطباء. فأنشأ يقول :

جاء الاطباء من حِمص تخالُهُمُ
من جهلهم أَنْ أُداوى كالمجانين
قال الاطباء : ما يَشفيك ؟ قلت لهم :
دُخانُ رِمثٍ من التّسرير يَشفيني[(١)]
إِنِّ أَحنُّ إلى أَدخان مُحتَطبٍ
من الجُنَيْنَةِ جزلٍ غَيرِ موزونِ[(٢)]

فأمر الوليد أن يُحمل اليه سَليخة[(٣)] من رِمثٍ فوافوْه وقد مات . فهو عند الخليفة وببلد ليس فى الأقاليم أريفُ منه ولا أخصبُ جنابا ، يحن الى سليخة رمث حباً للوطن

وحكى أبو عبد الله الجعفرى عن عبد الله بن اسحاق

---

(١) الرمث مرعى للابل من الحمض

(٢) كذا فى الاصل وقد ألم فى معجم البلدان بالقصة والابيات فارجع اليه فى التسرير والجنينة

(٣) السَليخة من الرمث ماليس مرعى

الجعفرى قال : أمرت بصهريج [1] لى فى بستان عليه نخل مُطِلٌّ أن يُملأ ، فذهبت بأم حسانة المُرِّيَّة وابنتها وهى زوجتى ، فلما نظرتْ أُم حسانة الى الصهريج قعدت عليه وأرسلت رجليها فى الماء . فقلت لها : ألا تطوفين معنا على هذا النخل لنَجنِيَ ماطاب من ثمره ؟ فقالت : ههنا أعجب إلىَّ . فدرنا ساعة وتركناها ثم انصرفنا ، وهى تخضخض رجليها فى الماء وتحرّك شفتيها . فقلت : ياأُم حسانة ، لا أحسَبُك إلا وقد قلت شعراً ؟ قالت : أجل . ثم أنشدتنى :

أَقول لأَدْنَى صاحِبَيَّ أَسُرُّهُ
وللعين دمعٌ يَحدُرُ الكُحلَ ساكبهْ

لَعمرِي لنَهيٌ باللِّوى نازحُ القَذَى
نَقِيُّ النواحى غيرُ طَرْقٍ مشاربه [2]

---

(١) الصهريج كقنديل حوض يجتمع فيه الماء . وهو معرَّب

(٢) النهى بالفتح ، وهو بالكسر فى لغة أهل نجد ، الغدير أو شبهه والجمع أنهٍ وأنهاء ونهىّ ونهاء ، والطَرق بالفتح ماء السماء الذى تبول فيه الابل وتبعر

بأَجرَعَ مِجْراعٍ كأَنَّ رَجاجهُ
سخاب من الكافور والمسك شائبه[١]
أحب الينا من صهاريج مُلِّئَت
لِلُعْبٍ فلم تملُح لدىّ ملاعبُه
فيا حبذا نجدٌ وطيبُ ترابه
اذا هضَبَتهْ بالعشى هواضبه[٢]
وريح صبا نجدٍ اذا ما تنَسَّمَت
ضحىً أو سرت جنح الظلام جنائبه[٣]

وأنشد أبو النصر الأَسدى :

---

(١) كذا فى الاصل ولم يَذكر هذا البيت مَن ذكر الابيات المذكورة فليبحث عنه ، والاجرع والجرعاء أرض حزنة يعلوها رمل والجمع الاجارع ، والسخاب قلادة من قرنفل وسك ومحلب ليس فيه جوهر والشائب المخالط

(٢) هضبت السماء القوم مطرتهم مطراً شديداً

(٣) الجنائب جمع جنوب وهي ريح تقابل الشمال ، وقد زاد فى محاضرات الراغب بعد هذه الابيات بيتين وهما :

فأقسم لا أنساه مادمت حية ... وما دام ليل عن نهار يعاقبه
ولا زال هذا القلب مسقىَّ لوعة ... بذكراه حتى يترك الماء شاربه

أُحبُّ الأَرضَ تسكُنها سُلَيْمَى
وإن كانت بِواديها الجُدُوب
وما عهدى بِحُبِّ تُراب أَرض
ولكن من يَحُلُّ بها حبيبُ

وأنشدنى حماد بن اسحاق الموصلى :

أَحَبُّ بلاد الله مابين صارةٍ
الى غَطفانَ أَن يَصوب سحابُها [1]
بلادٌ بها نِيطت علىَّ تمائِمى
وأَوَّل أَرض مَسَّ جسمى ترابُها [2]

قال ولما حُملت نائِلة بنت الفرافصة الكلبية الى عثمان بن

---

(١) الصوب نزول المطر

(٢) قال المبرد فى الكامل يقال فلان عقت تميمته ببلد كذا أى قطعت عنه فى ذلك الموضع . قال الشاعر :

ألم تعلمى يادار بلجاء أننى اذا أخصبت أو كان جدباً جنابها
أحب بلاد الله مابين مشرف الى وسلمى أن يصوب سحابها
بلاد بها عق الشباب تميمتى وأول أرض مس جلدى ترابها

وقوله « مابين مشرف الى وسلمى » قد روى على أوجه شتى

عفان رضى الله عنه كَرِهت فراق أهلها ، فقالت لضبّ أخيها :

ألستَ ترى ياضبُّ بالله أننى
مُرَافِقةٌ نحو المدينة اركُبا
أمَا كان فى أولاد عوف بن عامرٍ
لَكَ الويْل ما يُغنى الخِباءَ المُطنَّبا
أَبَى الله إلاّ أنْ أكون غريبةً
بيثربَ لا أُما لدىَّ ولا أَبَا

قال وَزُوّجَت من أَبانَ فى كلب امرأة ، فنظرت ذات يوم الى ناقة قد حنّت فذَكَرَت بلادَها ، وأنشأت تقول :

ألاَ أيُّها البَكرُ الأَبَانىُّ إننى
وإياكَ فى كلب لَمُغْتربان (١)
تحنّ وأَبْكى ذا الهوى لِصبابَةَ
وإنَّا على البَلوى لَمُصْطَحِبَان
وإن زَمانًا أَيها البكر ضمنى
وإياكَ فى كلب لَشرٌّ زَمانِ

---

(١) البكر بالفتح : الفتى من الابل . والانثى بكرة

وقال آخر :

أَلاَ يا حبذا وطنى وأَهلى
وصَحبي حين يُذَّكر الصِّحاب
وما عَسلٌ ببارِدِ ماءِ مُزن
على ظَمَإٍ لشاربه يُشابُ
بِأَشهَى من لقائِكمُ الينا
فكيف لنا به ومتى الإِيابُ

وأنشد الغَنَوى لبعض الهُذَليين :

وأرى البلاد إذا سَكنتِ بغيرها
جَدْباً وإنْ كانت تُطَلُّ وتُخْصَبُ
وأرى العَدُوَّ يُحِبُّكم فَأُحِبُّهُ
إِنْ كان يُنْسَبُ مِنكمُ أو تُنْسَبُ
وأرى السَّمِيّةَ باسمكم فَتَرُدُّها
حُبا إلى . . . . (١)

(١) كذا فى الاصل . وقد وجدنا الابيات فى ديوان أبى ذؤيب الهذلى على هذا الوجه :

وأرى البلاد اذا سكنت بغيرها جدباً وان كانت تطل وتخصب

قال ومن هذا أخذ الطائىُّ قولَه :

كم منزل فى الارض يألفهُ الفتى
وحنينه أبداً لأَوَّل منزل

وأنشد أبو عمرو البَجلىّ :

تَمَتَّعْ من شَمَيم عَرار نَجد
فما بَعدَ العَشِيَة من عرار (١)
أَلاَ ياحبَّذا نفحات نجد
وَرَيَّا رَوضِهِ عِبَّ القِطار (٢)

ويحل أهلى بالمكان فلا أرى طرفى لغيرك مرة يتقلب
وأصانع الواشين فيك تجملا وهمُ علىَّ ذوو ضغائن دوَّب
وتهيج سارية الرياح منَ ارضكم فأرى الجناب لها يُحل ويجنب
وأرى العدو يحبكم فأحبه ان كان ينسب منك أو لا ينسب

(١) العرار بهار البر وهو نبت طيب الريح الواحدة عرارة وقد ورد فى الحماسة قبل هذا البيت قوله :

أقول لصاحبى والعيس تهوى بنا بين المنيفة فالضمار

(٢) الرى هنا الرائحة ، و غب بعد ، والقطار جمع قَطر وهو المطر

وَعَيشُك اذ يَحُلُّ القومُ نجداً
وانتَ على زمانك غيرُ زارى (١)
شهورٌ ينقضين وما شعَرنا
بأَنصاف لهنَّ ولا سرار (٢)
فأَمَّا لَيْلهنَّ فَخيرُ ليلٍ
وأَقصرُ ما يكونُ مِنَ النهار (٣)

وقال آخر:

أَلاَ هل الى شمِّ الُخزامَى ونظرةٍ
الى قرقرَى قبلَ الممات سبيل (٤)
فَأَشرَبَ من ماء الُحجَيلَاء شَربةً
يُداوَى بها قبل الممات عليل (٥)

---

(١) زارى عائب يقال زرى عليه فعله اذا عابه
(٢) الانصاف جمع نصف. وسرار الشهر آخر ليلة منه
(٣) وفى رواية وانضره و رواية وأطيب
(٤) الخزامى نبت من نبات البادية طيب الرائحة. وقرقرى أرض باليمامة فيها قرى وزروع ونخيل
(٥) الحجيلاء اسم بئر باليمامة

فيا أَثلاتِ القاعِ قلبي مُوَكَّلٌ
بِكُنَّ وَجدوَى خيرِ كُنَّ قليل (١)
ويا أثلاتِ القاع قد مَلَّ صُحبتي
مسيرى فهل فى ظِلِّكنَّ مقيل (٢)
أُريدُ انحداراً نحوَها فَيَرُدُّنى
ويمنعنى دَينٌ علىَّ ثقيل
أُحدِّثُ نفسى عنكِ أن لستُ راجعاً
اليكِ فحزنى فى الفؤاد دَخيل (٣)

وأنشد للمجنون :

الى عامرٍ أصبو وما أرض عامِر
هى الرملةُ الوعساءُ والبلدُ الرحبُ (٤)

---

(١) الاثل شجر وهو نوع من الطرفاء الواحدة أثلة والجمع أثلات. والقاع المستوى من الارض والقيعة مثل القاع و بعضهم يقول هو جمع
(٢) الصحبة بالضم جمع صاحب . والمقيل القيلولة
(٣) الدخيل الداخل فى أعماق البدن وهذه الابيات ليحيي بن طالب كما فى معجم البلدان
(٤) الوعساء رابية من رمل لينة تنبت أحرار البقول وموضع معروف بين الثعلبية والخزيمية

معاشرُ بيضٌ لو وَرَدْتَ بلادَهم
وَرَدْتَ بحوراً ماؤُها للندا عذب
اذا ما بدت للناظرين خيامُهُم
فثَمَّ العِتاقُ القُبُّ والأَسَلُ القُضْبُ (١)

وأنشد المازنى :

إقرأْ على الوشل السلام وقل له
كُلُّ الموارِدِ مذ هُجرتَ ذَميم (٢)
جبل يُنيف على الجبال إِذا بدا
بين الغدائِرِ والرِّمال مُقيم
تَسرى الصَّبا فَتبيتُ فى أَلواذِه
ويبيت فيه من الجنوب نسيم (٣)
سَقياً لِظلِّكَ بالعشىِّ وبالضُّحَى
وَلِبرد مائِكَ والمياهُ حميم

---

(١) العتاق جمع عتيق يقال فرس عتيق مثل كريم وزناً ومعنى والقب جمع أقب وهو الضامر البطن والاسل الرماح والقضب اللطاف الدقاق

(٢) الوشل اسم جبل عظيم بناحية تهامة فيه مياه عذبة

(٣) الالواذ جمع لوذ وهو جانب الجبل وما يطيف به ومنعطف الوادى

لو كنت أملك منعَ مائِك لم يذق
ما فى قِلاتك ما حييتُ لئيم[١]

وقالت امرأة من عقيل :

خليلىّ من سكان ماوانَ هاجنى
هبوب جنوب مَرُّها ونِسامها[٢]
فلا تسألانى ما ورائى فاننى
بمنزلة أعيا الطبيبَ سَقامُها

وقال آخر :

ألا ليت شعرى والحوادثُ جَمَّةٌ
متَى تجمعُ الايامُ يوماً لنا الشَّملا
وَكُلٌّ غريب سوف يُمسِى بذِلَّةٍ
اذا بان عن أوطانه وَجفَا الأَهلا

---

(١) القلْت مؤنثة وهى نقرة فى الجبل تمسك الماء أن يفيض (وتقدم فى ص ١١) والجمع قلات قاله فى المخصص وأنشد هذا البيت
(٢) ماوان : واد فيه ماء بين النقرة والربذة

وقال آخـــــر :

ألا ليت شعرى يجمع الدهر بيننا
بصحراءَ من نجرانَ ذاتِ ثرًى جَعْدِ [١]

وهل ينفُضَنَّ الريحُ أفنانَ لِمّتي
على لاحقِ الرجلينِ مُضطمرٍ وَرْدِ [٢]

وهل أرِدَن الدهرَ حِسْيَ مُزاحِمٍ
وقد ضربته نفحة من صبا نجد [٣]

وقال آخـــــر :

وأنزلَنى طولُ النّوى دارَ غربة
إذا شئتُ لاقيتُ امرءًا لا أُشاكِلُه

فحامقته حتى يُقالَ سجيةٌ
ولو كان ذا عقل لكنت أُعاقِلُه

---

(١) نجران اسم موضع ، وتراب جعد أى ندٍ

(٢) اللمة بالكسر الشعر يُلمُّ بالمنكب ، وأراد بأفنان لمته خصلها واستعار لها أفنان الشجر . والمضطمر الضامر يقال ضمر الفرس واضطمر اذا رق وقل لحمه . والورد من الخيل مابين الكميت الى الاشقر

(٣) مزاحم اسم موضع

ولو كنتَ فى قومى وَجُلِّ عَشيرتى
لأَلْفَيْتَ فيهم كلَّ خرقٍ أواصِله[١]

وأنشد لذى الرمة :

اذا هبَّتِ الارواحُ من نحو جانب
به أهلُ مَىٍّ هاجَ قلبى هبُوبها[٢]
هوًى تَذرِفُ العينان منه ، وإنما
هَوَى كُلِّ نفس حيثُ حلَّ حبيبُها[٣]

---

(١) وقع فى بعض كتب الادب الشطر الاخير هكذا « اللاقيت فيهم أخرقا لا أواصله » والاخرق الذى اذا عمل عملا لم يرفق فيه ، والخرق بالكسر الفتى الحسن الكريم الخليقة

(٢) الارواح جمع ريح وأما جمعها على أرياح فقد أنكره الحريرى فى كتاب درة الغواص فى أوهام الخواص حيث قال : ويقولون هبت الارياح مقايسة على قولهم رياح وهو خطأ بين ووهم مستهجن، والصواب أن يقال هبت الارواح كما قال ذو الرمة(وأنشد البيتين) ، غير ان ابن هشام قال (فى شرح بانت سعاد) : من العرب من يقول أرياح كراهة الاشتباه بجمع روح كما قالوا فى جمع عيد أعياد كراهة الاشتباه بجمع عود. قال السهيلى ان ريحاً وأرياحاً لغة لبنى أسد

(٣) ذرفت عينه : سال دمعها

وقال أبو عثمان : رأيتُ عبداً أسود حبشياً لِبنى أسد ، قدم من شِقِّ اليمامة ، فصار ناطوراً ، وكان وحشياً مجنوناً لِطول الغربة مع الابل ، وكان لا يلقى إلا أكرةً [١] فلا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم ، فلما رآنى سكنَ الىَّ وسمعته يقول : لعن الله أرضاً ليس بها عرب [٢] قاتل الله الشاعر حيث يقول :

حُرُّ الثرى مُسْتَعْرِبُ التُّراب [٣]

أبا عثمان : ان هذه العُرَيْب في جميع الناس كمقدار القُرحة فى جلد الفرس [٤] فلولا أن الله رقَّ عليهم [٥] لجعلهم فى حشاه

---

(١) أكرت الارض حرثتها واسم الفاعل أكار للمبالغة والجمع أكرة كانه جمع آكر

(٢) فى الاصل «عرف» وهى مصحفة ، والتصحيح من البيان والتبيين

(٣) أرض حرة لاصبخة فيها وطين حر لارمل فيه ورملة حرة طيبة النبات ، هو من العرب العرباء والعاربة وهم الصرحاء الخلص ، وفلان من المستعربة وهم الدخلاء فيهم . وقال جندل بن المثنى الطهوى :

جعد الثرى مستعرب التراب ، أى بعيد من أرض الاعاجم

(٤) القرحة بالضم بياض يسير فى وجه الفرس دون الغرة

(٥) الاولى أن يقال فى مثل هذا الموضع رأف بهم ونحو ذلك الا أن الأعراب ومن نحا نحوهم لاينتبهون لمثل ذلك

لَطَمَسَتْ هذه العَجم آثارهم ، أترى الأعيارَ اذا رأت العِتاق [١] لاترى لها فضلاً ، والله ما أمَرَ اللهُ نبيه صلى الله عليه وسلم بقتلهم اذ لايدينون بدين الا لِضِنِّهِ بهم [٢] ولا ترَكَ قَبُولَ الجزيةِ منهم الا تنزيهاً لهم

وقيل لأعرابى : ما السرور ؟ فقال : أَوْبَةٌ بغير خيبة ، وألفة بعد غيبة

وقيل لآخر : ما السرور ؟ قال : غيبة تفيد غنى ، وأوبَة تُعْقِبُ منى . وأنشأ يقول :

وكنتُ فيهم كممطور ببلدتِه
يُسرُّ أنْ جمع الاوطان والمطرا

وأحسن ما سمعنا فى حب الوطن وفرحة الاوبة قوله :

وباشرتُها فاستعجلت عن قناعها
وقد يستخف (الطامعين) المباشر

(١) الاعيار جمع عير بالفتح وهو الحمار . والعتاق كرام الخيل

(٢) الضن والضنة بالكسر والضنانة بالفتح البخل . مراد الاعرابى من كلامه ان الله كرم العرب وأراد بهم خيراً ، اذجعلهم بمكان يأمنون به على قلتهم من الاعاجم على كثرتهم ، واذ ألزمهم الاسلام ولم يقبل منهم الجزية مع البقاء على الكفر

مُشَمِّرَةٍ عن ساق حوْلاء جسرةٍ
تُجارِى بنيها مرة وتحاضر
وخبرها الورّاد ان ليس بينها
وبين قرى نجران والدربِ صافر (١)
فألقت عصاها واستقرت بها النوى
كم قرَّ عينا بالإِياب المسافر (٢)

وقيل لبعض الاعراب ما الغبطة ؟، قال : الكفاية مع لزوم الاوطان ، والجلوسُ مع الاخوان . قيل له فما الذِّلة ؟ قال : التنقل فى البلدان ، والتنحى عن الاوطان

وقال آخر :

---

(١) فى رواية الرواد . في رواية سائر

(٢) كذا فى الاصل وقد ذكر فى بعض كتب الادب ان البيت الاخير للمعفر بن أوس بن حماد البارقى من قصيدة له فنظرنا فى القصيدة فى كتاب الاغانى فلم نجد فيها شيئاً من الابيات السابقة وأول القصيدة فيه

أمن آل شعثاء الحمول البواكر مع الليل ان زالت قبيل الاعاصر
وحلت سليمى فى هضاب وأيكة فليس عليها يوم ذلك قادر
وألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عيناً بالاياب المسافر
وصبحها أملاكها بكتيبة عليها اذا أمست من الله ناظر

طلب المعاش مفرّقٌ بين الأحبة والوطن
ومصيّرٌ جَلْدَ الرجا ل الى الضراعة والوهن
حتى يُقادَ كما يقا دُ النِّضوُ فى ثنى الرَّسَن
ثم المنيةُ بعده فكأنه مالم يكن

ووجدنا من العرب من كان أشرفَ فى نفسه ، وأفخر فى حسبه ، ومن العجم من كان أطيَب عُنصراً ، وأنفسَ جوهراً ؛ أشدَّ حنيناً الى وطنه ونزاعاً الى تربته . وكانت الملوكُ على قديم الدهر لاتؤثِر على أوطانها شيئاً ؛ وحكى المُوبَذْ (١) أنه قرأ فى سيرة اسفنديار بن بشتاسف بن لهراسف بالفارسية : أنه لمّا غزا بلاد الخزَر ليستنقِذَ أُختَه من الاسر اعتل بها فقيل له : ما تشتهى ؟ قال : شَمّةً من تُربة بَلْخ ، وشَربة من ماء واديها ، واعتل سابور ذو الاكتاف (٢) بالروم — وكان مأسوراً فى

(١) الموبذ بضم الميم وفتح الباء فقيه الفرس وحاكم المجوس ، والجمع موابذة والهاء للعجمة

(٢) سابور معرب شاهپور تكلموا به قديماً وهو اسم ملك من ملوك الفرس وقد عرب به الاعشى بشاهبور حيث قال :

أطاف بها شاهبور الجنو د حولين تضرب فيها القدُم

والقدم جمع القدوم التى ينحت بها

القِدّ [١] ـ فقالت له بنت ملك الروم ، وقد عشقته : ما تشتهى مما كان فيه غِذاؤُك ؟ قال : شربةً من ماء دِجلة ، وشمةً من تربة اصطخر . فغبرت عنه أياما ، ثم أتته يوما بماء الفرات وقبضة من تراب شاطئه ، وقالت : هذا من ماء دِجلة ، وهذه من تربة أرضك . فشرب واشتم من تلك التربة فأفاق من مرضه . وكان الاسكندر الرُّومى [٢] جال البُلدان وأخرب اقليم بابل وكنز الكنوز وأباد الخلق فرض بحضرة بابل [٣] فلما

---

(١) القد سير من الجلد يشد به الاسير قال المتنبى :

وغيظ على الايام كالنار فى الحشا ولكنه غيظ الاسير على القد

(٢) الاسكندر معرب الكسندر وأل فيه من أصل الكلمة غير انهم نظروا اليها نظرهم الى أل التى للتعريف ، وهذا الذى حمل بعض الشعراء على حذفها كما تحذف من الحسن والعباس فقال اسكندر قال أبو تمام:

من عهد اسكندر أو قبل ذلك قد
شابت نواصى الليالى وهى لم تشب

قال التبريزى المتعارف بين الناس ان الاسكندر بالالف واللام فحذفوهما منه . وأما قوله الرومى فهو من قبيل المجاز

(٣) حضرة الرجل قربه وكانت فى الاصل حظيرة . قال فى النهاية فى اثر « لايلج حظيرة القدس مدمن خمر » أراد بحظيرة القدس الجنة وهى

أَشفى[١] أوصى الى حكمائه ووزرائه أن تحمل رِمّتَه[٢] فى تابوت من ذهب الى بلده حباً للوطن

ولمّا افتتح وهرز بن شيرزاد اليمن وقتل ملك الحبشة المتغلّبَ على اليمن أقام بها عاملاً لأنوشروان[٣]، فبنى نجران اليمن وهى من أحسن مدن الثغور ، فلما أدركته الوفاة أوصى ابنه شيرزاد أن يَحمل الى إصطخر ناووس أبيه[٤] ففعل به ذلك

فهؤلاء الملوك والجبابرة الذين لم يفتقدوا فى اغترابهم نعمة ولا غادروا فى أسفارهم شهوة حنّوا الى أوطانهم ولم يؤثروا على ترابهم ومساقط رءوسهم شيئا من الاقاليم المستفادة بالتغازى والمدن المغتصَبَة من ملوك الامم

وهؤلاء الاعرابُ مع فاقتهم وشدة فقرهم يحنون الى أوطانهم ويقنعون بتربهم ومحالّهم

فى الاصل الموضع الذى يحاط عليه لتأوى اليه الغنم والابل ليقيهما البرد والريح

(١) أشفى على الهلاك أشرف عليه

(٢) الرمة بالكسر العظام البالية والجمع رمم و رمام

(٣) وهذه القصة مذكورة فى سيرة ابن هشام فى قصة سيف بن ذى يزن الحميرى

(٤) الناووس تابوت يجعل فيه جثة الميت

ورأيت المتأدب من البرامكة المتفلسفَ منهم اذا سافر سفراً أخذ معه من تربة مولده فى جِراب يتداوَى به

ومن أصدق الشواهد فى حب الوطن أن يوسف عليه السلامُ لما أدركته الوفاة أوصى أن تُحمل رِمَّته الى موضع مقابر أبيه وجَده يعقوبَ واسحقَ وابراهيمَ عليهم السلام، وَرُوِىَ لنا أن أهل مصر منعوا أولياء يوسف من حمله ؛ فلما بعث الله موسى عليه السلامُ ، واهلك على يديه فرعونَ وغيره من الامم ، أمره أن يحمل رِمَّتَه الى تربة يعقوب بالشام وقبرُه معلوم بارض بيت المقدس بقرية تسمى حسامى (١) وكذلك يعقوب مات بمصر فحملت رمته الى إيلياءَ قرية ببيت المقدس وهناك قبر اسحق بن ابراهيم عليهما السلام

ومن حب الناس للوطن وقناعتهم بالعطن أن ابراهيم لما أتى بهاجرَ أمِّ اسماعيلَ مكةَ فاسكنها وليس بمكة أنيس ولا ماء ظمىء اسماعيل ، فدعا ابراهيم ربه فقال : ربِّ إنى أسكنت من ذرِّيتى

---

(١) كذا فى الاصل ولعلها محرَّفة عن (حبرون) أو (شكيم) . ومؤرخو المسلمين يكادون يتفقون على أن قبر يوسف فى قرية (بلاطة) بضاحية مدينة نابلس (انظر رسالة : جب يوسف الصديق وقبره الشريف المطبوعة بالمطبعة السلفية سنة ١٣٤٦)

بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرَّم ؛ فاجاب الله دعاءه إذ رضى به وطناً وبعث جبرائيل عليه السلام فركضَ[1] موضعَ زمزم برجله فنَبع منه زمزم

ومرّ باسماعيلَ وأمّه فرقة من جُرْهُم فقالوا : أتأذنون لنا أن ننزل معكم ؟ فقالت هاجرُ : نعم ولا حقّ لكم فى الماء . فصار اسماعيل وولده قطّانَ مكة لدعوة ابراهيم عليه السلام ، نعم وهى مع جدوبتها خير بقاع الارض ، اذ صارت حرماً ، ولاسماعيلَ وولده مسكناً ، وللانبياء منسكاً ومجمعاً على غابر الدهر

وممن تمسك من بنى اسرائيل عليه السلامُ بحب الوطن خاصة ولدُ هارون وآل داود عليهما السلام ، لم يمت منهم ميت فى اقليم بابل فى أى البلدان مات الا نبشوا قبره بعد حول وحملت رمته الى موضع يدعى الخصاصة بالشام[2] فيودعُ هناك حولاً فاذا حال الحول نقلت الى بيت المقدس . وقال الفرزدق :

لَكسرى كان أعقلَ من تميم
ليالِ فرَّ من بلد الضِّبَاب

---

(١) الركض تحريك الرجل ومنه قوله تعالى « اركض برجلك »

(٢) كذا فى الاصل

فأسكن أهله ببلاد ريف
وجنات وأنهار عذاب[1]
فصار بنو بنيه بها ملوكا
وصرنا نحن أمثال الكلاب
فلا رحم الإله صدى تميم
فقد أزرى بنا فى كل باب[2]

وقال آخر فى حب الوطن :

سقى الله أرض العاشقين بغيثه
وردَّ الى الأوطان كلَّ غريب
وأعطى ذوى الهيئات فوق مناهم
ومتع محبوباً بقرب حبيب[3]

﴿ تمَّ ﴾

---

(١) الريف كل أرض فيها زرع ونخل ، وقيل هو ماقارب الماء من أرض العرب وغيرها

(٢) الصدى الجسد من الآدمى بعد موته ، وطائر يخرج من رأس المقتول اذا بلى فيما تزعم الجاهلية ، وما يرده الجبل على المصوت فيه

(٣) ذوو الهيئات هم الذين لا يعرفون بالشر

تنبيه

قد أفرد أبا عثمان الجاحظ فى الترجمة حكيمُ الادباء وأديب الحكماء أبو حيان التوحيدى ، وقد ذكر فى كتابه نكتة تدل على رغبة الناس بكتب الجاحظ قال :

ومن عجيب الحديث في كتبه ما حدثنا به على بن عيسى النحوى الشيخ الصالح قال : سمعت ابن الاخشيد شيخنا أبا بكر يقول : ذكر أبو عثمان فى أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست ، ومرَّ بى فى جملتها (الفرق بين النبى والمتنبى) وكتاب (دلائل النبوة) وقد ذكرهما هكذا على التفرقة وأعاد ذكر الفرق فى الجزء الرابع لشىء دعاه اليه فأحببت أن أرى الكتابين ولم أقدر إلا على واحد منهما وهو كتاب (دلائل النبوة) وربما لقب بالفرق خطأ فهمَّنى ذلك وساءنى فى سوء ظفرى به ، فلما شخصتُ من مصر ودخلت مكة — حرسها الله تعالى — حاجاً أقمت منادياً بعرفات ينادى والناس حضور من الآفاق على اختلاف بلدانهم وتنازح أوطانهم وتباين قبائلهم وأجناسهم من المشرق الى المغرب ومن مهب الشمال الى مهب الجنوب وهو المنظر

الذى لايشابهه منظر :

« رحم الله من دلنا على كتاب (الفرق بين النبى والمتنبى) لابى عثمان الجاحظ على أى وجه كان »

قال : فطاف المنادى فى تربيع عرفات وعاد بالخيبة وقال : عجب الناس منى ولم يعرفوا هذا الكتاب ولا اعترفوا به . قال ابن الاخشيد : وإنما أردت بهذا أن أبلغ نفسى عذرها . قال المؤلف : وحسبك بها فضيلة لابى عثمان أن يكون مثل ابن الاخشيد وهو هو فى معرفة علوم الحكمة . وهو رأس عظيم من رءوس المعتزلة يستهام بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعرفات والبيت الحرام . وهذا الكتاب موجود فى أيدى الناس اليوم لاتكاد تخلو خزانة منه ، ولقد رأيت أنا منه نحو مائة نسخة أو أكثر . انتهى

بعض مطبوعات

المطبعة السلفية - ومكتبتها

ق	
١٥	البداية والنهاية فى التاريخ لابن كثير (١٦ جزءا صدر منها ٣) ثمن كل جزء
١٠	خزانة الادب الكبرى للبغدادى (١٠ أجزاء صدر منها ٤) اشتراك كل جزء
١٥٠	مجموعة صحيفة (الفتح) الاسلامية . السنة الثانية والثالثةوالرابعة والخامسة والسادسة
٣	تاريخ الادب العربي (أوجز وأجمع كتاب دراسى)
٣	ذكرى موقعة حطين (أهم ماقيل فيها)
١ر٥	طائفة القاديانية للعلامة السيد محمد الخضر حسين
٥	الملاحن في اللغة لابن دريد
٣	الالفاظ الكتابيه لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني (مجلدا ومشكولا)
٢	تقويمنا الشمسى . بقلم محب الدين الخطيب
٢	جب يوسف الصديق وقبره . تحقيق الاستاذ عبدالله مخلص
٨	مذكرات غليوم الثاني
٣	اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب . بقلم محب الدين الخطيب
٢	الازهر : ماضيه وحاضره والحاجة الى اصلاحه »
٣	الدعوة الى الاصلاح للعلامة السيد محمد الخضر حسين
٢	الاسلام والاصلاح . تقرير السر ريتشارد وود الى وزير الخارجية البريطانية
٤	اليزيدية للعلامة المرحوم أحمد تيمور باشا
٢	تاريخ العلم العثماني « « «
٢	قبر الامام السيوطى « « «
٨	مقدمة الحضارات الاولى لجوستاف لوبون
٢	حياة سقراط للسيد محمد المكي الناصرى
٨	المؤتمر العربي الاول سنة ١٣٣١ (١٩١٣)
٥	اعمال الوفد السورى امام جمعية الامم وغيرها
١ر٥	ارشاد الامة الى احكام الحكم بين اهل الذمة للعلامة الشيخ بخيت
١٥	المنتقى من محاضرات الشبان المسلمين (جزءان)
٤	ابن رشيق . بقلم العلامة عبد العزيز الميمنى الراجكوتي
٢	الحنين الى الاوطان للجاحظ (طبعة جديدة)
١	أشعة من شمس السيرة النبوية للرفاعي

ثلاث رسائل

لابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الأولى - في الرد على النصارى
الثانية - في ذم أخلاق الكتاب
الثالثة - في القيان

عنى بنشرها المستشرق الامريكى الدكتور يُوشَع فِنكَل J. Finkel
معتمدا فى الرسالة الاولى على نسخة الخزانة التيمورية رقم ١٩ أدب
ونسخة دار الكتب الازهرية رقم ٦٨٣٦
وفى الثانية والثالثة على نسخة مكتبة نور الدين مصطفى بالقاهرة رقم ١٠٠

٨٠ صفحة كبيرة ٭ ثمنها ٦ قروش

تطلب من

المطبعة السلفية - ومكتبتها